مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦؛ ٥: ١-٦)

يا إخوةُ، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلْنَتمسَّكْ بالإعترافِ* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَةَ* فلنُقبِلْ اذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانِها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه ان يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ

من أراد أن يتبعني...

لقد خصصت كنيستنا المقدّسة يوم الأحد الثالث من الصوم الأربعيني المقدّس للسجود للصليب الكريم المحيي، رمز فداء ربنا يسوع المسيح وتواضعه الأقصى. في هذا اليوم الذي يتوسّط آحاد الصوم، ترفع الكنيسة المقدّسة الصليب الكريم أمام المؤمنين، وهم في منتصف رحلة جهادهم، لتشد أزرهم وتشحذ عزمهم درءاً للتهاون «شيطان نصف النهار». في هذا اليوم أيضاً يرتفع الصليب الكريم في الكنيسة مزداناً بالأزهار والرياحين ليراه المؤمنون ممجَّداً، وليتذكروا أن علامة مجد ربّهم، وبالتالي مجدهم، هي الصليب.

الإنجيل المتلو على المؤمنين يبدأ بقول السيد له المجد «مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه...». الدعوة هنا ليست انتقائية، بل تأكيد على أهمية القرار الحر، الخيار الشخصي «الكياني» في اتباع المسيح. في إنجيل مرقس، الذي منه يأتي هذا النص، يخاطب الرب يسوع «الجمع مع التلاميذ»، وهذا الجمع المتحلّق حول التلاميذ «أعمدة الكنيسة» هم مؤمنو الكنيسة، أتباع المسيح، على امتداد التاريخ. الـ«مَن أراد أن يتبعني» هي إذاً تمتد في الزمن، أبعد من الذين سمعوها بآذان الجسد في ذاك اليوم، ولها شرطها: «فليكفر بنفسه...». أما إنكار النفس هذا فيعني أن لا يبقى الإنسان، متى أراد أن يتبع السيد، أسير غريزته البشرية التي تؤلّه الـ«أنا»، أن لا يبقى منتمياً إلى ذاته، وإلى الدنيا التي يرى فيها، لمحدودية بصيرته، تحقيق ذاته. أن يلقي عن «نفسه» ذاك الخضوع لنواميس دنياه، والمقنّع زيفاً بحاجة التكيّف من أجل البقاء. بمعنى آخر يقول السيد المبارك في هذا اليوم لسامعه إن أردت أن تتبعني (والخيار لك وحدك) فإني لا أقبل أن يشاركني أحدٌ بك. إما أنا وناموسي وبالتالي الحياة التي أعطيك، وإما نفسك. أوليس لنا ذاك الميل أحياناً إلى نكران المسيح وبرّ إنجيله من أجل هذه أو تلك من إملاءات هذا العالم، بإيحاء من الـ«نفس» المتمسّكة بأمور هذا العالم؟ أوليس لنا أيضاً، غالباً، ذاك الميل إلى «التوفيق» بين ما

العدد ١٣/ ٢٠١١
الأحد ٢٧ آذار
الأحد الثالث من الصوم
(أحد الصليب الكريم المحيي)
تذكار أمنا البارّة الشهيدة مطرونة التي في تسالونيكي
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الحادي عشر

كما دَعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لانَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

للمسيح وما تمليه علينا ذواتنا، على قاعدة مَثَلنا العامّي «إجر بالوعر وإجر بالفلاحة»؟

إنكار النفس إذاً هو الشرط لاتّباع المسيح. حتى عبارة «ويحمل صليبه» التي تليها ليست شرطاً إضافياً بل تفسيراً أو تكميلاً لما يعنيه الشرط. لم يقل السيد المبارك «ويحمل همومه» بل «ويحمل صليبه»، بمعنى أنه منذ ذلك الحين يماهي همومنا بصليبه. والجهاد من أجل البر في وجه الخطيئة والأهواء في هذا العالم هو صليب. لكن، كيف يدعونا المسيح إلى أن نحمل وزر آلامنا لكي نتبعه، وهو الذي جاء أصلاً وحمل صليب العار ظلماً، فقط لكي يكسر طغيان الخطيئة ويشفي بجراح صليبه جراحنا؟ هل يعني هذا القول من الرب يسوع أن الحياة معه محكومة بالآلام ما دمنا في هذا العالم؟ قطعاً لا وبلا أدنى شك. مسيحنا تألّم لكي نشفى، ظُلم لكي لا نعود نُظلم من بعد، ومات لكي نحيا. لقد اختصر المسيح «صلباننا» كلّها بصليبه. ذابت كلها فيه. عن هذا يقول الأب المغبوط الذكر «ليف جيليه»: «ما عليك إلا أن تقول للسيد نعم يا رب، سوف أحمل صليبي وأتبعك. إذ ذاك فقط ترى أن صليبك لا وزن له، أو ما عاد ثقيلاً». منذ ذبيحة الصليب ما عاد للخطيئة قوة من ذاتها. كُسرت قوتها. كل ما عليك هو أن لا تستسلم لإغوائها، وتعطيها منك قوة عليك. فقط قل للسيد نعم.

لأجل هذا تُكرم الكنيسة الصليب هذا الإكرام. ففي الرابع عشر من أيلول، مع بدايات السنة الطقسية الكنسيّة التي هي زمن التقديس، تحتفل الكنيسة المقدسة بتذكار رفع الصليب الكريم، ويحتفل المؤمن المجاهد بالتقائه الروحي الشخصي مع سر الفداء الحاصل على الصليب. وفي هذا الأحد من الصوم الأربعيني الكبير نرفع الصليب ونسجد له. نطوف به مرفوعاً لأننا نراه علامة مجد لا علامة قهر وانهزام. ونسجد له لأننا نعترف به ناموس حياتنا الوحيد. أما عيد زياح الصليب في الأول من آب، والذي يفتتح آخر شهر من السنة الطقسية، فهو يأتي ليكمّل عملياً مسيرة العيدين السابقين. من تعرّف على الصليب واعترف به ناموساً، يحمله على منكبيه ويطوف به كل يوم، تقديساً لحياته ودرءاً لغواية الخطيئة.

يبقى أن في علاقتنا بالصليب بعض ما ينبغي التنبّه إليه. كلنا يعرف أن أبناء الكنيسة ينظرون إلى الصليب سلاحاً واقياً، وأيقونات الصليب نراها في البيوت والمكاتب والسيارات والأعناق، ورسم إشارة الصليب دارج في مختلف الحالات والأوقات. بيد أن التسلُّح بالصليب له قواعده الإيمانية العميقة، لكي لا نقع في التطيُّر (Superstition) أو في المعتقدات الشعبية الفارغة، لا سيما وأننا غالباً ما نرى الخرزة الزرقاء تتدلّى مع الصليب في سلسلة واحدة! إن التسلّح بالصليب لا يجدي، لا بل يصبح رياءً ما لم يأتِ من إرادة التحوّل بكامل الكيان نحو المصلوب، واختياره سيداً مطلقاً وإنجيله قانوناً وحيداً للحياة. اعتناق الصليب «بالروح والحق»، يعني الوقوف من كل ما ليس لله موقف التغرّب بل العداء، مهما كلّف الأمر من ألم وجهاد. الصليب لم يكن له هذا الفعل لو لم يُصلب عليه الإله،

تأمل

عبادة الأصنام قد زالت، والخليقة تقدّست بالدم الإلهي، وهياكل الأصنام ومعابدها قد انهدمت وانغرست المعرفة الإلهية بالثالوث المتساوي الجوهر وقامت العبادة للاهوت غير المخلوق، لله الواحد الحقيقي وأصبح الشياطين يرتجفون من الناس الذين كانوا قديماً تحت حوزتهم. والعجيب في الأمر أنّ هذا الإصلاح كلّه قد تمّ بصليبِ المسيح وآلامه وموته. والبشارة بالمعرفة الإلهيّة قد انتشرت في الأرض كلها، لا بحربٍ ولا بسلاح ولا بجيوش مدرَّبة لمقاتلة العدوّ، بل بشرذمة من أُناس عراة، محتقَرين، أُميِّين، مشرَّدين ومضطهدين ومحكومٍ عليهم بالموت وهم يُبشّرون بمن صُلب بالجسد وحُكم عليه بالموت، وقد انتصروا على الحكماء والمقتدرين، لأنّ قدرة الصليب – وهي الأقوى – كانت تتبعهم. والموت الذي كان قديماً الموضوع الأكبر للخوف والحذر والكراهية، قد اضحى اليوم أفضل من الحياة. هذه هي الإصلاحات الناتجة من مجيء المسيح وهذه هي الأدلّة على قوّته، فإنه لم

ومن لا يسمّر ذاته على صليب الرب لا ينتفع من الأيقونات والقلادات شيئاً. التسلُّح بالصليب، وهو علامة تضحية المسيح بامتياز، يقتضي الخوض شخصياً في اختبار هذه التضحية وفعلها في الذات. هذا يعني أن يسلك المؤمن على خطى الإنجيل كل يوم، والطريق ليس سهلاً، وصليب مقارعة الخطيئة على منكبيه. إذ ذاك فقط يصبح الصليب في يد هذا المؤمن سلاحاً ماضياً، تماماً كما صار صليب السيد، بعدما اغتسل بدمه الكريم، قاتلاً للموت ومبيداً للشياطين. بتعبير آخر، نقول إن صبر المؤمن سلاحه. نكرانه الـ«أنا» بالتواضع، قبوله الآخرين كما هم، المحبة والرحمة وبذل الذات والتفاعل مع آلام الآخرين... كلها صلبان تحمي نفس المؤمن وتقدّس حياته. مَن كان على هذه كلّها يطوف بصليب الرب سلاحاً في زياح مستمر، حتى ولو لم يعلّق على جدرانه أيقونات ولا وضع في عنقه قلادة.

حول الصليب

كثيراً ما نشاهد الصليب في أيّامنا الحالية معلَّقاً حول أعناق الفنانين من ممثلين ومغنين، يتزيّنون به ويقومون بالمشاهد غير اللائقة بهم وبالصليب الذي يعلّقونه على صدورهم. لقد أصبح الصليب أداة زينة، مبتعداً كلّ البعد عمّا يمثّله بالحقيقة من أداة خلاصيَّة، بها نقهر الموت والشيطان ونصل إلى القيامة.

إذا سُئِلَت غالبية المسيحيين، الأرثوذكسيين خصوصاً، عن معنى إشارة الصليب التي نرسمها على وجوهنا، فإنّهم إمّا لا يعرفون، أو يعرفون ولا يهتمون ويستمرون برسم إشارة الصليب بطريقة غير لائقة.

إنّ الأصابع الثلاثة المجموعة على المستوى نفسه، أي أن تكون أطرافها متلامسة في نقطة واحدة، لا أن يكون أحد هذه الأصابع على مستوى أعلى أو أدنى، تشير إلى الثالوث القدوس المتساوي في الجوهر وغير المنفصل. أمّا الإصبعان المجموعان في بطن كفّ اليد فيشيران إلى طبيعتي المسيح الإلهيّة والإنسانية، وتالياً فإنّ بطن الكفّ يرمز إلى أحشاء العذراء مريم «التي منها تجسّد الإله وصار طفلاً».

نبدأ إشارة الصليب من الرأس نزولاً إلى البطن للدلالة على انحدار المسيح من العلاء وتجسّده من العذراء مريم، ثم ننتقل إلى الكتف الأيمن إشارة إلى جلوس الإبن عن يمين الآب. إضافة إلى ذلك، فإنّ الانتقال إلى الكتفين عند رسم إشارة الصليب يرمز إلى ضرورة حمل صليبنا على منكبينا واتّباع المسيح، لأنّ عظام الكتفين هي من أقوى عظام الجسم البشري.

بعدما تعرّفنا على رموز إشارة الصليب، من المهم أن نعرف أهميّة رسم هذه الإشارة بطريقة صحيحة. يقول أحد الآباء الشيوخ القديسين إنّ الشياطين تفرح وترقص عندما لا نرسم إشارة الصليب بالطريقة الصحيحة، وذلك لأنّ الصليب بحسب صلواتنا هو «جرح الشياطين» و«به تُطرد مواكب الجنّ» كما أنّه «السلاح الذي لا يُقاوَم، معانِد الشياطين».

إنّ الصليب بالنسبة إلى المسيحيين ليس أداة عذاب أو إجرام، وليس أمراً

يفعل الآن – كما بموسى – أن فلق بحراً فأنقذ شعباً واحداً من مصر ومن عبودية فرعون، بل بالأحرى إنه قد انتشل البشرية من فساد الموت ومن المغتصب العاتي ومن الخطيئة. وهو في ذلك لم يغتصب اغتصاباً إلى الفضيلة، فلم يوارِ الخطأة في الثرى، ولا أحرقهم بالنار ولا رجمهم بالحجارة. لكنه بوداعته ورحابة صدره قد جذب الناس إلى الفضيلة فصاروا يتسابقون إلى الأتعاب في سبيلها ويستلذّونها. وقد كان الخطأة قديماً يعاقَبون ويستمرون في خطيئتهم وكانت لهم الخطيئة بمثابة إله. أما اليوم ففي سبيل التقوى والفضيلة يتكبّدون العذاب والعقوبات والموت.

فشكراً لك أيها المسيح كلمة الله وحكمته وقوّته والإله القدير! ماذا نقرّب لك نحن البائسين عن هذه الإحسانات كلها؟ فإنّ الكل لك وأنت لا تطلب منّا سوى خلاصك. فلك الشكر يا مَن أعطانا الوجود وأعطانا حسن الوجود وأعادنا إليه بعد سقطتنا في تنازله المعجز البيان.

القديس يوحنا الدمشقي

يدعو إلى الحزن والمرارة، لكنّه أداة نصر وقيامة. هذا الأمر نلمسه من كلّ صلواتنا التي نذكر فيها الصليب الكريم وبخاصة في الأحد الثالث من الصوم. يظهر جلياً في خدمة هذا الأحد ارتباط القيامة بالصليب والفرح المهيمن على الصلوات ككل، فنجد أنّ ثمّة قانونَين يُرتّلان في صلاة السَحَر أحدهما للقيامة مشابه إلى حدّ التطابق لقانون أحد الفصح، والثاني للصليب الكريم تغلب عليه مظاهر الغلبة والظفر إذ نجد فيه الصليب مثبّتاً للعقل «لئلاّ يتزعزع من صدمات العدو» ومانحاً للسلامة ومجدّداً لجنس البشر وقائداً نحو النور.

لماذا يتوسّط الصليب مسيرة الصوم؟ نقرأ في سنكسار الأحد الثالث من الصوم ما معناه أنّ الإنسان يبدأ بالتضجُّر والتراخي بسبب الصيام، فيأتي الصليب الكريم المحيي مريحاً ومقوّياً ومذكّراً بآلام ربنا يسوع المسيح ومعزّياً ومشجعاً ومخفّفاً أتعابنا بإظهاره لنا الأوجاع السيدية، ومظهراً لنا المجد الذي ينتظرنا بالقيامة على حسب ما مُجِّد المسيح بصعوده على الصليب وقيامته من بين الأموات. إضافةً إلى ذلك، يأتينا الصليب في وسط المعركة مثلما تتقدّم حضور أحد الملوك علامته وصولجانه ثم يحضر هو فرحاً ومبتهجاً بالظفر وتفرح معه رعيته. على هذه الصورة سيحضر ربّنا يسوع المسيح ناشراً علامة ظفره على الموت، آتياً بمجدٍ يوم القيامة المجيد، يتقدّمه صولجانه ورايته الملوكية، أي الصليب الكريم. هذا الصليب يأتي ليهيّئ مجيء ربّ المجد مالئاً إيّانا بهجةً وراحةً عظيمتين وجاعلاً إيّانا مستعدّين لاقتبال الملك العظيم الآتي بعد مدّة يسيرة ظافراً وغالباً الموت وكاسراً شوكة الجحيم.

الصليب الذي نعلّقه حول أعناقنا هو علامة تُميِّزنا عن سائر الناس. إنّه علامة نصر وقوة وخلاص، علامة قيامة لا موت. إذاً، لا نجعلنَّ علامة ظَفَرِنا علامةً تجاريّة وأداة زينةٍ نعلّقها في آذانِنا وحول أعناقِنا فقط، بل فلنعلقها في قلوبنا وأرواحنا مستمدّين منها القوّة للظفر على أهوائنا وخطايانا.

خلوة روحية

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام أقام مكتب التربية المسيحية في مطرانية بيروت خلوةً روحيَّة ليوم واحد لقُدامى مدرسة التنشئة اللاهوتية ولطلابها الحاليين وطلاب مدرسة الموسيقى الكنسيَّة. وفي غمرة الصقيع اجتمع حوالي الخمسين طالباً مع الآباء المسؤولين في دير كنيسة القديس جاورجيوس في سوق الغرب يوم السبت ١٢ آذار مفتتحين يومهم بقداس إلهي.

تخلّل الخلوة عدّة لقاءات روحية مع الكهنة حول مواضيع الدينونة والملكوت والتوبة الحقيقية بحيث استطاع المشاركون في نهاية يومهم أن يضعوا أهدافاً روحية جديدة لحياتهم الشخصية، شاكرين الله على لقائهم المفيد جداً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb